﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۡبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: 2 - 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلهما:

الإشارةُ إلى عِلَّة الفَتحِ

لمّا ذكر الله تعالى الفَتحَ بعد سورة محمَّدٍ التي مطلَعُها: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١﴾ [محمد ﷺ: 1]؛ بشارةً بظهور الإسلام وأهلِهِ وإدبار الكُفْر وأهله؛ أعقبَهُ ببيانِ علَّةِ الفتحِ، وهي المغفرةُ وما ذُكر بعدَها؛ إيماءً إلى وفاة النَّبيِّ ﷺ، وإشارةً إلى أنَّ المقصودَ من إخراجه إلى الدُّنيا هو إظهار الدّين القيِّم وإزْهاق الباطلِ؛ لترتَفِعَ درجتُه ومنزلَتُهُ، وتَعْظُمَ مكانَتُهُ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَزِيزًا﴾: (عزز) تدلُّ تصريفاتُه عَلى شِدَّةٍ وقوَّةٍ وغَلَبَة وقَهْرٍ[2]، والعِزَّةُ: حالٌ مانعة للإنسان مِن أن يُغْلَب، مِن قولهم: أرضٌ عَزازٌ، أي: صُلْبةٌ، والعَزيزُ: الذي يَقْهَر، ولا يُقْهَر[3]، وعَزَّه: غَلَبَهُ، يُقال: مَنْ عَزَّ؛ بَزَّ، أي: مَن غَلَبَ؛ سَلَبَ، والعِزَّة يُمدَح بها تارةً، ويُذمُّ بها تارةً، كَعِزَّة الكفّار، ووجهُ ذلك: أنَّ العزَّة لله تعالى ولرسوله ﷺ هي الدّائمة الباقية، وهي العِزَّة الحقيقيَّة، والعِزَّة التي هي للكافر هي التَّعَزُّز، وهي في الحقيقة ذُلٌّ؛ لأنَّه تشبُّع بما لم يُعطَ[4]، والعَزيزُ مِن أسماءِ الله تعالى، هوَ كما قالَ الزَّجّاجُ: المُمتَنِعُ، فَلا يَغْلِبُهُ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 278.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عز).
(3) الرّاغب، المفردات: (عز).
(4) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (عز).

شَيءٌ، وقالَ غَيْرُهُ: هوَ القَويُّ الغالِبُ كُلَّ شَيءٍ[1]، وقولُه تعالى: ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾، أي: نصرًا غالبًا منيعًا، لا يتبعُهُ ذُلٌّ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يَذكُرُ اللّه تعالى أنَّه فتح لك - أيُّها النَّبيُّ الكريمُ - هذا الفتحَ العظيمَ، ويسَّره لك؛ ليغفرَ لك ما تقدَّم من ذنبك، وما تأخَّر؛ بسبب ما حصل مِن هذا الفَتح من طاعاتٍ كثيرةٍ، وما تعرَّضْتَ له مِن مشقّات في سبيل ذلك، ويُتِمَّ نعمتَه عليك بإظهار دينكِ ونصرِك على أعدائك، ويُرشِدَكَ طريقًا مستقيمًا في الدّين لا اعوجاجَ فيه، وينصركَ نصرًا عزيزًا لا يُقاوَم، يُعَزُّ به الدّين، ويُرفَعُ شأنُه[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى اللّام في ﴿لِّيَغْفِرَ﴾:

اجتِماعُ عِزِّ الدُّنيا والآخـرة للنَّبيِّ ﷺ

اللّام في ﴿لِّيَغْفِرَ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ للتَّعليل، والمعنى: إنا فَتَحْنا لك فتحًا مبينًا؛ ليَجْتمع لك مع المغفرة تمامُ النِّعمة في الفتح[4]، ولم يُجْعَل فتحُ مكَّة علَّةً للمغفرةِ، ولكن لمّا اجتمعَ ما عُدِّد من الأمور الأربعة، وهي: المغفرةُ وإتمامُ النِّعمة وهدايةُ الصِّراط المستقيم والنَّصرُ العزيز، كأنَّه قيل: يَسَّرنا لك فتحَ مكَّة، ونصرناك على عدوِّكَ؛ لنجمعَ لك بين عِزِّ الدُّنيا والآخرة، وأغراضِ العاجلِ والآجلِ[5].

فائدةُ تكرارِ القَيْد ﴿لَكَ﴾، وتقديمِه على الفاعلِ:

التَّأكيدُ على مكانة النَّبيِّ ﷺ

كُرِّرَت شبهُ الجملة ﴿لَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؛ تأكيدًا على

(1) ابن منظور، لسان العرب: (عز).
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 27/ 231.
(3) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 511.
(4) البغويّ، معالم التّنزيل: 7/ 297، والشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 53.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 332.

تخصيص الرَّسول ﷺ بالمُبَشِّرات، وتأكيدًا على مكانته السّامية، ومقامِه الرَّفيع عند رَبِّه سبحانه، وقُدِّم ﴿لَكَ﴾ على الفاعل في قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾؛ تعجيلًا لِلبُشْرى والسُّرورِ للنَّبيِّ ﷺ، واهتمامًا بالمُقدَّم؛ بيانًا لعظَمَةِ قَدْره ﷺ.

بلاغةُ الالتفاتِ مِن التَّكلُّم إلى الغَيْبَة:

مغفرةُ الله تعالى لنبيِّه ﷺ مغفرةً عظيمةً تليقُ بمقامه

في قوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ التفاتٌ مِن التَّكلُّم في قوله تعالى في الآية السّابقة: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا﴾ إلى الغَيْبة بذِكرِ الاسمِ الأحسَن ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله سبحانه: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾؛ وذلك لأنَّ الاسمَ الظّاهرَ في حُكْمِ الغَيْبَة، وقد أشار هذا الالتفاتُ إلى غاية الكِبْرياء بالإسنادِ إلى الاسمِ الأعظَم، إلى أنَّ هذه المغفرةَ بحسَبِ إحاطةِ هذا الاسمِ الجامع لجميع الأسماء الحُسْنى[1]، وأيضًا في الالتفاتِ إلى الاسمِ الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾ المُستَتبِع لِجَميع صفاتِ الجَلال والعَظَمة والكمال إشعارٌ بأنَّ كُلَّ واحدٍ مِمّا انتظم في سِلْك الغاية مِن أفعالِه تعالى صادرٌ عنه تعالى مِن حيثيَّةٍ غير حيثيَّة الآخر، مترتِّبةٍ على صفة مِن صفاته تعالى[2].

نُكْتَةُ إسنادِ المَغْفِرة إلى الله تعالى:

الاهتمامُ بأمرِ المَغفِرَة ومتعلّقها

أُسنِد فعلُ المغفرة ﴿لِّيَغۡفِرَ﴾ إلى الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾، في قول الله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾؛ قصدًا للتَّنويه بهذه المغفرة؛ لأنَّ الاسم الظّاهر أنفذُ في السَّمع، وأجلَبُ للتَّنبيه؛ وذلك للاهتمام بالمُسْنَد وبمُتَعلِّقه؛ لأنَّ هذا الخبرَ أُنُفٌ لم يكن للرَّسول ﷺ عِلمٌ به، ولذلك لَم يَبْرُز الفاعلُ في ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾؛ لأنَّ إنعام الله عليه معلومٌ، وهدايتَه معلومة، وإنَّما أخبر بازديادهما[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 280.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 104، والآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 244.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 146.

كما أنَّ في إسناد المغفرة إليه تعالى بالاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ بعد إسناد الفتح إليهِ تعالى بنون العظَمةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾؛ إيماءً إلى أنَّ المغفرة ممّا يتولّاها الله سبحانه بنفسه، وأنَّ الفتح ممّا يتولّاه ﷺ بالوسائِطِ[1]، والمُراد هنا: أنَّ الله تعالى فتحَ لكَ؛ ليَجْعَلَ ذلك أمارةً وعلامةً لغُفْرانِه لك، فكأنَّها لامُ صيرورةٍ[2].

نُكْتَةُ إيثارِ المَوصولِ (ما) وتَكرارِه:

عـمـومُ مـغـفـرَةِ الله تَعالى لنبيِّه ﷺ

أوثِر التَّعبيرُ بالاسمِ المَوصول (ما) في قوله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؛ لدلالته على العموم والإحاطة والشُّمول، وفي تكرارِه تأكيدٌ على تلك الإحاطةِ وشُمولها، وهذا يتناسَبُ معَ الخبر في الآية الكريمةِ بتبشير النَّبيِّ ﷺ بمغفرة جميع ما تقدَّم وما تَأَخَّرَ مِن تركِ الأفضَلِ وخِلافِ الأَوْلى ممّا يجوزُ أن يُسمّى ذنبًا بالنَّظر إلى مقامِه الشَّريفِ ﷺ، وإن كان لا يُسمّى ذنبًا بالنَّظر إلى غيره، ومِن ثمَّ قيل: حسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المُقرَّبين[3].

بلاغةُ الطِّباقِ في قوله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾:

تـأكـيـدُ عـمـومِ مغفرة الذَّنْب

في قول الله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ طباقُ إيجابٍ بينَ ﴿تَقَدَّمَ﴾ و﴿تَأَخَّرَ﴾، وهو تأكيدٌ آخرُ لتعميمِ المغفرة للذَّنْب، ولا يقتضي ذلك أنَّه ﷺ فَرَط منه ذَنْب، أو أنَّه سيقع منه ذَنْب، وإنَّما المقصود أنَّ الله تعالى رَفع قَدْرَه رفعةَ عدمِ المؤاخذة بِذَنبٍ لو قُدِّر صدورُه منهُ[4]، أو أنَّ الذَّنْبَ مستعمَلٌ في تركِ الأفضلِ، وسُمّيت ذنبًا بالنَّظر إلى عَظَمةِ مقامه ﷺ[5].

(1) محمود الصّافي، الجدول: 13/ 242.
(2) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 5/ 126.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 27/ 230.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 146، والبِقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 281.
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 27/ 230.

معنى ﴿مِن﴾ ودِلالَتُها:

بـيـانُ الإبـهـامِ وتَفْسيرُهُ

﴿مِن﴾ في ﴿مِن ذَنۢبِكَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بيانيَّة؛ وذلك لتقدُّم ﴿مَا﴾ الموصولة، وفيها ضَرْبٌ مِنَ الإبهام مقرونًا بما اتَّصلت به مِن فعلٍ، فجاء البيانُ في قوله سبحانه: ﴿مِن ذَنۢبِكَ﴾.

دلالةُ التَّعبيرِ بالذَّنْب مُضافًا إلى الضَّمير:

الـرَّسـول ﷺ بَـشَـرٌ قد يفوتُه الأَوْلى

الذَّنْب في الأصلِ: ما استلزم الذَّمَّ والعَتبَ أو العقوبة، وعذابهُ بمَعْنى المُؤاخذَةِ، وعدمُ المؤاخذة يُبْطِل لازمَهُ، فيبطل الذَّنْبُ، فلا ذَنْب ثَمَّ، ونظير هذا ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [محمد ﷺ: 15]، وليست الدّارُ دارَ تكليفٍ، فلَم يكُنْ فيها ذَنْبٌ يُغْفَر، وإنَّما ذلك راجِعٌ لِعَدَمِ المؤاخذة بما يفعلونَ، وذلك الواردُ في سورة الفَتحِ، وجائزٌ أن تكونَ المغفرةُ مستعملةً في سَتر المعصيةِ، أي: الحِفظ مِنها، ومستعملةً على سَتر المُرَتَّب عليها، أي: التَّجاوز عنهُ[1]، وقد يُراد بالذَّنْب ذَنْبُ المؤمنين، أو الصَّغائر، فَإنَّها جائِزَةٌ على الأنبياء[2]، وفي التَّعبير بالذَّنْب مُضافًا إلى الضَّمير العائدِ إلى النَّبيِّ ﷺ تأكيدٌ على بَشريَّته ﷺ، فهو بَشَرٌ قد يفوته فِعْلُ الأفْضَل.

دلالةُ العطفِ بالواوِ:

تـعـديـدُ البُشريات لخيرِ المخلوقاتِ

أوثِر العطفُ بالواو في قول الله: ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾؛ لتَعْديد البُشرياتِ وسَرْدِ نِعَم الله تعالى على رسوله ﷺ وتَفْصيلِها، وبين الجُمَلِ الثَّلاثِ توسُّطٌ بين الكمالين؛ إذِ الجُمَلُ الثَّلاثُ جُمَلٌ خبريَّةٌ، وبينها تناسُبٌ لفظًا ومَعنًى، فأمّا في اللَّفظِ؛ فاشتراكُها في الفعليَّةِ والمضارعيَّةِ،

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 33.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 66، والماورديّ، النُّكت والعيون: 5/ 310.

واتِّحادِ المُسنَدِ إليه فيها، وأمّا في المعنى؛ فاشتِراكُها في كونِها نِعَمًا جليلةً وآلاءً جسيمَةً.

سرُّ إيثار فعل الإتمامِ مُضارعًا:

سعَةُ إنعامِ الله تعالى على نبيِّه ﷺ واستِمرارِه

أوثِر التَّعبيرُ بالفعل المضارع (يُتِمَّ) على غيره؛ لأنَّ التَّمامَ يَرِدُ على النّاقِصِ، فيتمُّه، وقد عُبِّر عنه بصيغة المضارِع؛ للدَّلالة على استِمرارِ إتمامِ نعمَةِ اللّه تعالى على رسوله ﷺ وزيادَتِها.

وجهُ التَّعبيرِ بلفظ النِّعمة مضافًا إلى ضميرِ الاسمِ الأحسنِ:

شَـرَفُ النِّعـمة مِن شَرَف المُنعِم

في التَّعبير بلفظ النِّعمة مُضافًا إلى الضَّمير العائدِ إلى اللّه ﷻ تشريفٌ لتلك النِّعمةِ وتعظيمٌ لها؛ لأنَّ المُنعِمَ بها هو اللّه تعالى، وفي مَعْنى تلك النِّعمةِ أقوالٌ، فقيل: هي الجَنَّة، وقيل: النُّبوَّة والمغفرة، وقيل: فتحُ مكَّة والطّائف وخيبر، وقيل: إظهار دينِك على سائر المِلَل[1]، وهذا ليس من الخِلافِ، وإنَّما هو تنويعٌ في العبارةِ وتفسيرٌ بالمثالِ، فكلُّ هذه وغيرِها نِعَمٌ داخلةٌ في قوله: ﴿نِعْمَتَهُۥ﴾؛ لأنَّه لفظٌ مفردٌ مضافٌ، فيَعُمُّ.

فائدةُ التَّقييدِ بالجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَيْكَ﴾:

تخصيصُ النِّعَمِ الكاملةِ بالنَّبيِّ ﷺ

جاء التَّقيد بالجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَيْكَ﴾، في قول اللّه تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾؛ لتخصيص الرَّسول ﷺ بالبُشرى، مع ما في الخِطاب مِن تشريفه ﷺ وتأنيسِه، وفي التَّعبير بحرف الجرِّ (على) في ﴿عَلَيْكَ﴾ - وهو حرفٌ دالٌّ على الاستعلاءِ - إيماءٌ إلى غَشَيانِ النِّعَم عليه مِن كُلِّ جانبٍ واشتمالِها عليه.

دلالةُ التَّعبيرِ بفعل الهداية مُضارعًا مقرونًا بِضمير الخطابِ ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾:

عِـظَـمُ هـدايـةِ الـرَّسـول ﷺ وجلالتُها

جاءَ التَّعبيرُ بفعل الهداية فعلًا مضارعًا في قول اللّه تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؛ للدَّلالةِ على دوام الهداية وتجدُّدِ أجناسِها، ولمّا كانت هدايةُ المؤمنين من هدايتِه؛ قُرِنَ فعلُ الهدايةِ

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير في علم التّفسير: 4/ 128.

بضمير الخطابِ المُرادِ به النَّبيُّ ﷺ؛ إيماءً إلى أنَّها هداية جليلةٌ تليقُ بجنابِه العظيم ﷺ[1].

لطيفةُ تَعديَةِ فعلِ الهدايةِ بنَفْسِه في ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾:

تعدُّدُ الدَّلالات في اختلاف تعديَة الفعل بِنَفْسه أو بغيره

الأفعالُ المتعدّيَة بأكثَرَ مِن حرفٍ تفيدُ دلالاتٍ مختلفةً، يخلَعُها عليها الحرفُ الَّذي تتعدَّى به[2]، وقد ورد فعلُ الهِدايَةِ في القرآن الكريم على أربعة معانٍ، هي: الإرشادُ، والتَّوفيق، والإلهام، والدَّلالة[3]، فإذا عُدّي فعلُ الهداية بحرف الانتهاءِ (إلى)؛ أفاد الإيصالَ إلى الغاية المطلوبة، ومتى عُدّي باللّام، تَضمَّن التَّخصيصَ بالشَّيء المطلوب، ولذا جيءَ باللّام الدّالَّة على الاختصاص والتَّعيين، فإذا قيل: هَدَيتُه لِكذا؛ فُهِم معنى: ذَكَرْتُه له، وجَعَلتُه له، ومَهَّدتُه له، وتعديةُ فعلِ الهدايَةِ بـ (اللّام) و(إلى) تكونُ لِمَن لم يَكُن في الصِّراط، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢﴾ [ص: 22]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥﴾ [يونس: 35]، ويُستَعمل المُعدّى باللّام، كقولك: هداهُ له، بمعنى: بَيَّنَ له، والهداية على مراحلَ، فالبَعيدُ عن الطَّريق، الضّالُّ، يحتاج مَن يوَصِّلُه إليه، ويدُلُّه عليه، وكذا الَّذي يَصِلُ إلى الطَّريق مُحتاجٌ إلى هادٍ يُعَرِّفُه بأحوال ذلكَ الطَّريق، وبأماكن الأمنِ والنَّجاة والهلاك، ثُمَّ إذا سَلَكَ الطَّريقَ؛ يحتاج إلى مَن يُريه غايتَه، ولذا جاءَ فعلُ الهدايةِ معدًّى باللّام في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: 43]، وهذه نهايةٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 282.

(2) ابن القيِّم، بدائع الفوائد: 2/ 21، ومحمّد الأمين الخضريّ، مِن أسرار حروف الجرّ في الذِّكر الحكيم، ص: 223.

(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 1/ 23.

الهدايات وخاتمتُها[1]، وتعديةُ فعلِ الهدايةِ بنفسه يقتَضي الهدايَةَ إلى الصِّراطِ والهدايَةَ فيه، فقوله سُبحانَهُ: ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾، أي: يهديَكَ إلى الصِّراطِ، وهوَ لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من المِلَلِ، ويهديكَ في الصِّراطِ، وذلك شاملٌ لجميع التَّفاصيل الدّينيَّة علمًا وعملًا[2].

نُكْتةُ إيثارِ التَّعبير بالصِّراط:

التَّعبير بالصِّراط أنسَبُ لمقامِ الامتنانِ

أوثِر التَّعبيرُ بالصِّراط في قول الله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ دونَ التَّعبير بالطَّريق؛ لأنَّ الصِّراط هو أوسع الطُّرُق وأسهلُها[3]، فالصِّراطُ على وزن (فِعال)، وهو من الأوزان الدّالَّة على الاشتمال، كالحِزام والشِّداد والخِمار والغِطاء والفِراش، ولفظُ الصِّراطِ يدلُّ على أنَّه واسعٌ رَحْبٌ يَتَّسع لِكُلِّ السّالكين، ويشملُهم، وسُمّي الصِّراط صراطًا؛ لأنَّه كأنَّه يَسْرُط السّالكين، ويبلعُهم[4]، أمّا كلمة الطَّريق؛ فهي على وزن (فَعيل) بمعنى مفعولٍ، أي: مطروق، فهو مسلوكٌ، وليس في ذلك إشارةٌ إلى اتِّساعه[5]، فكان التَّعبيرُ بالصِّراطِ أدخلَ في مقامِ الامتنانِ وأليقَ.

نُكْتَةُ تنكيرِ ﴿صِرَاطًا﴾، ودلالَةُ وصفِه بالاستقامَةِ:

أحسَنُ الطُّرُق ما كانَ مُستَقيمًا

نُكِّر لفظُ ﴿صِرَاطًا﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ للتَّعظيم؛ لأنَّه الصِّراطُ الموصِلُ لكلِّ خيرٍ: دنيويٍّ أو أُخرَويٍّ، ولكونِ الهادي إليهِ هو الله تعالى، ووُصِف الصِّراطُ بالاستقامَةِ؛ للإشارة إلى أنَّه واضح جليل جَليٌّ، موَصِّل إلى المُراد بهِدايَةٍ تَقتضي لُزومَه والثَّباتَ عليه[6]، والمُستَقيمُ أيضًا هو الَّذي لا اعوجاجَ فيه، وأحسن

(1) فاضل السّامرائيّ، لمسات بيانيّة، ص: 66، 67.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 39.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 334.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 3.
(5) فاضل السّامرائيّ، لمسات بيانيّة، ص: 26.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 283.

الطُّرُق ما كان مُستقيمًا، وهو الجادَّةُ؛ لأنَّه باستقامَتِه يَكون أقْرَبَ إلى المَكان المَقْصود مِن غَيْره، فَلا يَضِلُّ فيه سالِكُه، ولا يَتَرَدَّدُ، ولا يَتَحَيَّرُ[1]، ولأنَّ المستقيم أبعدُ عَنِ المَخاوِف والآفاتِ، وأقربُ إلى الأمان، بخلاف المُعوَجِّ، ونُكِّر الوصفُ ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾؛ لإرادةِ التَّعظيم والتَّفخيم أيضًا.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظ الصِّراط:

إخراجُ المعنويّات في صورة الحِسّيّات أعلَقُ بالذِّهْنِ وأبيَنُ في الفَهْمِ

في لفظ (الصِّراط) من قول الله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ استعارَةٌ تصريحيَّة؛ لأنَّ الصِّراطَ يُطلَق في الأصل على الطَّريق الحِسّيِّ المخصوص، فاستعمالُهُ هنا لدينِ الإسلام من باب الاستعارة التَّصريحيَّة الأصليَّة؛ إذ شُبِّهَ دينُ الإسلام بالطَّريق المخصوص الحسّيِّ، والجامع بينهما: أنَّ كُلًّا منهُما موَصِّل للمقصودِ، فصُرِّحَ باسم المُشَبَّه به، وطويَ ذِكرُ المُشبَّه، وفائدةُ الاستعارة هاهنا: التَّنْبيهُ على وضوحِ الطَّريقِ وعدمِ اشتباهه؛ إذِ الحِسّيّاتُ أظهَرُ في التَّصوُّرِ وأقربُ إلى الذِّهْنِ مِنَ العقليّات، أو هو مُستَعارٌ للدّينِ الحَقِّ في تَبْليغ الرِّسالةِ وإقامَةِ الحُدود، والمستقيمُ هُنا مُستَعارٌ استعارةً تصريحيَّةً للحَقِّ البَيِّنِ الَّذي لا تُخالِطُه شُبْهَةُ باطِلٍ، فَهو كالطَّريق، وأحْسَنُ الطُّرُق الَّذي يَكون مُستَقيمًا، لا تَتَخَلله بُنيّاتٌ[2].

توجيهُ التَّعبيرِ بالنَّصر فعلًا مُضارعًا مقرونًا بِضمير الخِطاب:

الـوَعْـدُ الإلـهـيُّ باستمرارِ العَوْنِ والتَّأييدِ

عُبِّر عَنِ النَّصر بالفعل المضارعِ في قول الله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾؛ للإشارة إلى استمرارِ التَّأييد الإلهيِّ لرَسول الله ﷺ، وأُضيفَ إلى ضميره ﷺ؛ تأنيسًا لهُ وتشريفًا، وبيانًا لعُلوِّ قَدْره ورفيعِ مكانَته ﷺ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 145.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 145.

بلاغةُ الإظهارِ في موضع الإضمارِ:

تعظيمُ النَّصرِ بإسنادِهِ إلى الاسم الأحسن (الله)

في قول الله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ إظهارٌ في موضع الإضمارِ؛ وذلك لأنَّ مقتضى الظّاهر أن يَرِدَ البيانُ القرآنيُّ: (وينصرَك نصرًا عزيزًا)؛ لتقدُّم التَّصريح بالاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾، في قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾، إلّا أنَّه عُدِلَ عن ذلك إلى الإظهارِ؛ اهتمامًا بِهَذا النَّصْرِ وتَشْريفًا له، بإسناده إلى الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾، الجامعِ لصفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ، والتَّصريحُ أدْعى إلى السَّمعِ، والكَلامُ مَع الإظهارِ أعْلَقُ بالذِّهْنِ[1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالمفعول المُطلق ﴿نَصۡرًا﴾ نكرةً:

عمومُ النَّصْرِ وشُمولُهُ

عُبِّر بالمفعول بالمُطْلَق ﴿نَصۡرًا﴾، من قول الله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ نكرَةً؛ للدَّلالة على تَفْخيمِه، أي: إنَّه نَصْرٌ يَليق بذاته سبحانه، وبِمَن بُشِّر به، وهو النَّبيُّ ﷺ، وفي التَّنكير أيضًا دلالةٌ على عُموم النَّصْرِ وشمولِه واتِّساعِه.

بلاغةُ وصْفِ النَّصْرِ بالعِزَّة:

نصْرُ الله تعالى لنبيِّه ﷺ نَصْرٌ لا ذُلَّ بَعدَهُ

وُصِفَ النَّصْرُ بالعِزَّةِ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾، وهو وصفٌ مُنكَّرٌ تبعًا لتنكير المصدرِ ﴿نَصۡرًا﴾؛ تعظيمًا لهذا النَّصر، فهو نَصْرٌ يَليقُ بِمَن أُسنِدَ إليه، وهو الله تعالى، المُحيطُ بسائرِ أنواع العظَمَةِ، وهو نصرٌ عزيزٌ يَغْلِب المنصورُ به كُلَّ مَن ناواهُ، ولا يغلِبُهُ شيءٌ مع دوامِه، فلا ذُلَّ بَعْدَ هذا النَّصرِ؛ لأنَّ الأُمَّة الَّتي تَتَّصِفُ به لا يَظهر عليها أحَدٌ، والدِّينُ الَّذي قضاه لأجله لا ينسخُه شيءٌ[2].

بلاغَةُ المَجاز العقليّ في ﴿نَصۡرًا عَزِيزًا﴾:

المُبالَغةُ في وصفِ المَنصورِ بالعِزَّةِ

وَصْفُ النَّصْرِ بالعَزيزِ في قول الله ﷻ: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ مجازٌ عَقْليٌّ بعلاقة المصدريَّة؛ إذ أُسْنِد العِزُّ والمَنَعةُ إلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 147.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 283.

النَّصر، والمقصودُ: أنَّه نصرٌ قويٌّ منيعٌ، فهو على وصْف المصدر بوَصْف صاحبهِ مِن باب المجازِ لقصْدِ المُبالغَةِ، وهذهِ الصِّفاتُ في الأصلِ للمَنْصورِ، وليسَت للنَّصر[1]، أو هو فيه تجوُّزٌ في الإسنادِ من جهةِ وصْفِ المصدرِ بصيغة المفعولِ لا الفاعل؛ إذِ الوصف بصيغةِ الفاعِلِ قليلُ الفائدةِ، ولا يناسِبُ المقامَ، وذلك أنَّ الكلامَ في شأن المُخاطَب المَنْصورِ لا المُتكلِّم النّاصر[2]، ووجه هذا: أنَّ أصل المعنى: ينصُرك نصرًا فيه عِزٌّ ومَنَعَةٌ، لكِن عَدَلَ النَّظمُ القرآنيُّ عن هذا، وجاء التَّعبيرُ ﴿نَصۡرًا عَزِيزًا﴾؛ لإرادَةِ المُبالَغَة، ولو جاء التَّعبير بالظَّرفيَّة (نصرًا فيه عزٌّ)؛ لكان مجازًا مفيدًا المُبالَغَة، ومعنى كون العِزِّ فيه: كونُ المنصور عزيزًا به، رفيعَ الشَّأنِ بسَبَبه، فالعزيزُ وصْفُ المنصورِ، ويُعَزُّ به، لكنَّ النَّظمَ القرآنيَّ وصَفَ النَّصرَ بالعزَّةِ لإرادَةِ المُبالَغَة في وصْف المنصورِ به؛ حتّى كأنَّه لكمال وصْفه به سَرى عِزُّهُ إلى نَفْس النَّصر[3]، وهذا أقوى مبالغةً من الظَّرفيَّةِ وأبلَغُ.

إسنادُ العطايا الأربعةِ إلى ضَمير الخِطاب:

التَّشريفُ بالخِطاب والإيناسُ به

أُسنِد فعلُ المغفرةِ في قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ إلى الاسم الأحسَنِ؛ تنويهًا لهذه المغفرةِ، ثُمَّ أُعيد الاسمُ الأحسنُ ﴿ٱللَّهُ﴾ في: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّه بَعُدَ عَمّا عُطِفَ عليهِ، وليَكونَ المبدأُ - وهو المغفرةُ - مسنَدًا إلى الاسم الظّاهر، والمنتهى - وهو النَّصرُ - كذلك، ولمّا كان الغُفْرانُ وإتمامُ النِّعمةِ والهدايةِ والنَّصرِ تَشترك في إطلاقِها على الرَّسول ﷺ وغيره، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النّساء: 48]، وقال سُبحانَهُ: ﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢﴾ [الصّافات: 172]، وكان الفتحُ لم يبقَ لأحدٍ إلّا للرَّسول ﷺ؛ أسندَهُ الله تعالى إلى

(1) محمود الصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 243، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 103، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 18/ 53.
(2) الشِّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 8/ 55.
(3) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 58.

نون العظَمةِ؛ تفخيمًا لشأنه في قوله: ﴿فَتَحْنَا﴾، وأسندَ أوَّلَ الأربعةِ وآخرَها إلى الاسم الظّاهرِ، وقدِ اشتركتِ الأمورُ الخمسةُ - وهي الفَتحُ، والمغفرةُ، وإتمامُ النِّعمة، والهدايةُ، والنَّصْر - في خطاب النَّبيِّ ﷺ؛ إيناسًا له وتشريفًا، ولم يُعبَّر بالاسم الظّاهر، فلم يأتِ النَّظمُ القرآنيُّ: (إنّا فتحنا لمحمَّد فتحًا مبينًا)؛ لأنَّ في الإقبالِ على المُخاطَبِ مِنَ الإيناسِ والتَّعظيمِ ما لا يكونُ في الاسمِ الظّاهر[1].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 483، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 66، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 105.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"